AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

القضايا الدلالية في كتاب "الكامل" للمبرد

[THE SEMANTIC ISSUES IN AL-MUBARRAD'S BOOK "AL-KAMIL"]

Mohamed Abdelrahman Ibrahim Youssef

Kulliyyah of Sustainable Tourism and Contemporary Languages,
International Islamic University Malaysia, Malaysia

Corresponding Author: *mansoura@iium.edu.my*

Received: 4/9/2024 *Accepted: 11/1/2025* *Published: 31/3/2025*

ملخص

مباحث علم الدلالة ضاربة بجذورها في أعماق التراث العربي والإنساني، على نحو ينمُّ عن عُلُو كَعْب علمائنا القدامى في هذا الصدد. ويتجلَّى ذلك في ما جادت به قرائح الأصوليين والمفسرين والشُّرّاح وأصحاب المصنفات الموسوعية مثل كتاب "الكامل في الأدب واللغة " للمبرد. ويتناول هذا البحث القضايا الدلالية الواردة في مطاوي هذا المصنَّف؛ وذلك للوقوف على القضايا الدلالية التي تزخر بها هذه الموسوعة الأدبية النفيسة؛ في محاولة لاستجلاء المنهج الذي تبنّاه المبرد عند تناوله لعدة قضايا دلالية، منها: المشترك اللفظي، والمعَرَّب، والدخيل، والسياق، وغير ذلك. وهذا الجانب لم يتناوله الباحثون من قبل، وفقاً لما بين يديْ الباحث من مَظانّ، وهذا ما يمثل مشكلة البحث الحاليّ. وتبنَّى الباحث المنهج الوصفي، وخلص إلى عدة نتائج، منها: أن القضايا الدلالية في الكتاب قد استحوذت على قَدْر كبير من اهتمام المؤلف، كما لُوحِظ شغف المصنِّف بالوقوف على المعاني الجزئية، متناولاً الجوانب اللغوية من حيث المفرد والجمع والمشترك اللفظي، والأضداد. بالإضافة إلى الإشارة إلى اللهجات العربية، لكنه لم يكترث كثيراً بالمعرَّب والدخيل؛ حيث مَسَّهُما مَسَّاً خفيفاً.

الكلمات المفتاحية: الدلالة ، اللهجات، المجال الدلالي، المشترك اللفظي، الأضداد

Abstract

Semantics studies are deeply rooted in the Arab and human heritage, in a way that reflects the high level of our ancient scholars in this regard. This is evident in the contributions of the scholars of the principles of jurisprudence, commentators, and encyclopedic authors such as Al-Mubarrad's book "Al-

Kamil fi al-Adab wa al-Lughah". This research deals with the semantic issues contained in the folds of this work; in order to stand on the semantic issues that abound in this precious literary encyclopedia; in an attempt to clarify the approach adopted by Al-Mubarrad when dealing with several semantic issues, including: polysemy, Arabization, foreignness, context, and others. This aspect has not been addressed by researchers before, according to the sources available to the researcher, and this represents the problem of the current research. The researcher adopted the descriptive approach and reached several results, including: that the semantic issues in the book have captured a great deal of the author's attention, and the author's passion for standing on partial meanings was noted, addressing the linguistic aspects in terms of singular, plural, verbal homonym, and opposites. In addition to referring to Arabic dialects, but he did not care much about the Arabized and the foreign; as he touched on them lightly.

Keywords: *meaning, dialects, semantic field, verbal homonym, opposites*

مقدمة

تزخر المكتبة العربية بأمهات الكتب التي اتخذت منحىً موسوعياً يضم بين تلافيفه ضروباً شتى من فنون القول، على نحو يشهد بتطور الكتابة الأدبية، وتشعُّب مباحثها، وسَبْرها لأغْوار النص، وبخاصة في مجال علم الدلالة، ومن هذه الكتب: "البيان والتبيين" للجاحظ، و"الأمالي" لأبي علي القالي، و"العمدة" لابن رشيق القيرواني، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه...إلخ. ومن ثم، ظهرت عدة مصطلحات مرتبطة بالكتابة، منها: الجمع، والتصنيف والتأليف، والتدوين، وغير ذلك.

ومن نافلة القول، إن السمة المشتركة بين أمهات الكتب المذكورة آنفاً، وغيرها الكثير، قد أولتْ اهتماماً ملحوظاً بقضايا الدلالة، وذلك من خلال الغوص على دقائق المعاني، واستجلاء مراميها، وتتبع مساراتها، وتجلياتها في النص. وقضايا الدلالة كثيرة، منها: الوقوف على مرامي الخطاب بتتبع المعاني الجزئية، والإشارة إلى ما يتضمنه من مشترك لفظي، وترادف، وأضداد، وألفاظ مُعَرَّبَة، بالإضافة إلى السياق، وما يتعلق بالمجالات الدلالية (Semantic Fields)، وغير ذلك.

ومن أهم المصادر الموسوعية الرصينة -في هذا الصدد- كتاب "الكامل في الأدب واللغة" للمبرد. وتتجلَّى القضايا الدلالية في تلافيفه، بما يُبْرِزُ مدى اهتمام علمائنا القدامى ووعيهم بهذه القضايا، وإسهامهم الذي لا تخطئه عينٌ في هذا المضْمار، حيث تَطَرَّق إليها المبرد، بما يخدم توجهه في عَرْض النصوص التي حفل بها الكتاب، مفسِّراً، ومعقِّباً، وناقداً، ومرجِّحاً.

مشكلة البحث

يروم علم الدلالة استجلاء المعاني، والوقوف على مقاصد الخطاب وفحواه، بناءً على المعهود اللغوي لدى العرب. والتصدي لهذه المهمة الجليلة يتطلب الإحاطة بعلوم اللغة، فضلاً عن دقة الملاحظة، وتوقُّد الذهن، وعمق الثقافة وشمولها لمعارف عديدة. ويأتي هذا البحث للوقوف على دور المبرد في

كتابه "الكامل" في عرض القضايا الدلالية المشار إليها آنفاً، وبيان منهجه في هذا الصدد. فثمة ثغرة بحثية في مجال الدراسة الدلالية، تتمثل في عدم قيام الباحثين بالوقوف على هذه القضايا في هذا المصنَّف، وتسليط الضوء على منهج المبرد في هذا المجال. وتتجلَّى مشكلة البحث مِن خلال الإجابة عن سؤالين رئيسين مفادهما:

١) ما القضايا الدلالية التي تناولها المبرد في كتابه "الكامل"؟
٢) كيف تناول المبرد القضايا الدلالية في "الكامل"؟

أهداف البحث

يتوخَّى البحث تحقيق الأهداف التالية:

١) الوقوف على القضايا الدلالية التي وردت في كتاب "الكامل" للمبرد.

٢) استجلاء منهج المبرد في تناول القضايا الدلالية في كتابه "الكامل".

منهج البحث

عوَّلَ البحث على المنهج الوصفي، وذلك بجمع المظان المتعلقة بالموضوع؛ للوقوف على القضايا الدلالية في كتاب "الكامل"، من خلال وصفها كما هي واردة في تلافيف هذا المصنَّف، وصولاً لنتائج علمية تجيب عن سؤاليْ البحث..

الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث على دراسة تنفرد بتناول المكَوِّن الدلالي لكتاب "الكامل" للمبرد، فكل ما وقف عليه الباحث -في هذا الصدد- لا يخرج عن كونه عرضاً لجوانب من جهود المبرد في الدرس اللغوي على نحو عام، وقد تتناول الدراسات السابقة موضوعات بعيدة عن طبيعة الدراسة الحالية مثل: الأصوات، والنحو، والبلاغة. ومن ثمَّ، فلا مندوحة -هنا- عن عرض ما تيسر الوصول إليه من الدراسات الأقرب إلى الدراسة الحالية، فضلاً عن عرْض الدراسات التي تتناول القضايا الدلالية في كتب أخرى؛ حيث يُستفاد منها على نحو ما، ومن هذه الدراسات ما يلي:

١) جهود المبرد في الأدب العربي

سعت أكرم وبانو (٢٠٢٣) إلى الوقوف على أطراف من جهود المبرد في النحو والنقد والبلاغة. وقد استهلت الباحثتان الدراسة بعرض موجز لسيرة المبرد، وسبب إطلاق هذا اللقب عليه. والملحوظ أن هذه الدراسة جاءت خلواً من الخاتمة، بما يُفْتَرَض أن تتضمنه من نتائج وتوصيات ومقترحات.

٢) القضايا الدلالية في تفسير فتح القدير للشوكاني

تناول محمد (٢٠١٩) عدة قضايا دلالية في تفسير "فتح القدير للشوكاني" انطلاقاً من أهمية المباحث الدلالية في تفسير القرآن الكريم، واستنباط أحكامه، وتتمثل هذه القضايا في الجوانب الآتية: العام والخاص، المطلق والمقيد، المشترك اللفظي التضاد، طرق الدلالة، الأمر، حروف المعاني. وتوصل البحث إلى عدة نتائج، منها: أن التغير الطبيعي للدلالة الدلالي هو الانتقال من التوسع إلى التضييق. برع الشوكاني في استنباط الأحكام بالاستفادة من المشترك اللفظي.

٣) الدلالة عند الراغب الأصفهاني من خلال كتابه المفردات في غريب القرآن

رامَ خدير (٢٠١٠) الوقوف على مفهوم الغريب، ونشأته، وتطوره، وأنماطه، بالإضافة إلى الحقول الدلالية لهذا المصنف، وما تخلله من ترادف، ومشترك لفظي، واشتقاق، ونحت، وتوليد...إلخ. وخلص الباحث إلى عدة نتائج، منها: جمعَ الراغب عند تحديده لمفهوم الدلالة بين مفاهيم متعددة، منها ما يتعلق باللغة، ومنها ما هو بلاغي، ومنها ما هو تفسيري ومنطقي وشرعي.

٤) ملامح دلالية في تفسير ابن عباس وأثرها في الدراسة اللغوية

توخَّى فريد (٢٠١٧) إبراز الملامح الدلالية في تفسير ابن عباس، متناولاً الغريب، واللهجات العربية، وعلاقتها بالدلالة المعجمية والصوتية، بالإضافة إلى المعرب، والسياق...إلخ. ومن نتائج البحث: اهتمام ابن عباس بغريب القرآن، والاستئناس بشعر العرب في هذا الصدد، وكوْن ابن عباس سباقاً في الوقوف على حروف المعاني.

٥) القضايا اللغوية في تفسير النهر المادّ من البحر المحيط لابن حيان الأندلسي

تغيّا كرام (٢٠١٨) كشف القضايا اللغوية في تفسير مهجور لابن حيان، وما يهم الباحث -هنا- القضايا التي لها علاقة بالدلالة، وتجلَّت في الاشتراك اللفظي، والتضاد، والترادف. ومن نتائج البحث، أن ابن حيان اهتم كثيراً بإبراز العلاقات الدلالية، مما يؤكد إقراره بوقوع الظواهر اللغوية السابقة في القرآن الكريم.

وتتوزع الدراسة على ثلاثة مباحث، هي:

١) المبرد: حياته ومؤلفاته.
٢) كتاب "الكامل" تأليفاً وتحقيقاً.
٣) القضايا الدلالية في كتاب "الكامل".

أولاً: المبرد حياته ومؤلفاته

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد (الزركلي،٢٠٠٢، ج ٧، ص ١٤٤). وقد وُلد المبرد في البصرة، يوم الإثنين غداة عيد الأضحى ٢١٠هـ - ٨٢٦م. ودرس على جلَّة من علماء عصره، قرأ كتاب سيبويه في النحو على الجرمي...وختمه على المازني...وتلقى عن أبي حاتم السجستاني...وقد أظهر المبرد نبوغاً مبكراً، ونال شهرة واسعة (مكي،١٩٩٣، ص ٢١٨). وقد رحل المبرد إلى بغداد، وهناك ذاع صيته، وعلا كعبه، نظر لما كان يتمتع به مِنْ حسن المحاضرة، ومليح النادرة، وخفة الروح، وكثرة النوادر، وغزارة العلم، وكثرة الحفظ، وحسن الخط.

وللمبرد ما يقرب من خمسين كتاباً تمثل ثقافته المختلفة، في اللغة والشعر والبلاغة وعلوم القرآن والأدب والأنساب وتراجم الرجال. وأغلب هذه المؤلفات لم يصلنا منها سوى أسمائها التي حفظتها كتب التراجم والسير. فمن كتبه المنشورة: كتاب الكامل، وكتاب الفاضل، وكتاب المقتضب، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الكريم، وشرح لامية العرب، وكتاب المذكر والمؤنث. ومن كتبه التي ذكرها ابن النديم ولم تصلنا: احتجاج القرآن، أدب الجليس، أسماء الدواهي عند العرب، الاشتقاق، الإعراب، إعراب القرآن، البلاغة، الخط والهجاء، ضرورة الشعر، طبقات النحويين البصريين وأخبارهم، العروض، قواعد الشعر، القوافي (الورقي، ١٩٨٤، ص ٤٤-٤٥).

ثانياً: كتاب (الكامل) تأليفاً وتحقيقاً

ضَمَّن المبرد كتابه (الكامل) ضروباً من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة (الورقي، ١٩٨٤، ص ٤٥). وأشار المبرد إلى منهجه في الشرح قائلاً: والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً (المبرد،١٩٩٧، ج١، ص٥).

وقد حشد المؤلف شواهد جمَّة استدلالاً على صحة ما يقول، وتنوَّعت ما بين آي الذكر الحكيم، والحديث الشريف، والشعر، والتعبيرات الاصطلاحية وغير ذلك.

ويلاحظ أن اختيار المؤلف للنصوص، قد انصبَّ -في الغالب- على النصوص التي يجد فيها مُتنفساً لشروحه – وهناك طائفة من النصوص التي أوردها؛ ليروِّح بها عن نفس المتلقي. ولا تخلو هذه النصوص من قيمة فنية واضحة. ومن ذلك ما جاء في "باب في المختار من أشعار المولدين"؛ حيث يقول: هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة. يُحتاج إليها للتمثل؛ لأنها أشكل بالدهر، ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص٣).

وفصول "الكامل" لا تخضع لمنهج محدد بموضوعات معيَّنة، فما هي إلا أحاديث متفرقة. والباب عند المبرد ليس موضوعاً محدداً في أغلبه، وإنما مجموعة من موضوعات تستدعيها المناسبات باستثناء مواضع قليلة حدَّد المبرد عناوين لمادة الباب مثل: الباب الثامن والأربعين "باب من أخبار الخوارج". وإذا كان هذا المنهج منهجاً صالحاً للدرس، إلا أنه لا يصلح للتأليف كثيراً؛ لسيطرة الاستطراد والتكرار والإحالة على أبواب الكتاب، مما أفقد الموضوعات – في الأغلب الأعم – عنصر الترابط والوحدة "وإذا كان هذا المنهج منهجاً صالحاً للدرس إلا أنه لا يصلح للتأليف كثيراً لسيطرة الاستطراد والتكرار والإحالة على أبواب الكتاب مما أفقد الموضوعات – في الأغلب الأعم – عنصر الترابط والوحدة وربما كان هذا المنهج مناسباً لمثل هذه التأليفات الموسوعية آنذاك والتي كانت تنظر إلى الأدب على أنه مجموع الثقافة العربية، وهي ثقافة لم تكن قد عرفت التخصص بعد (الورقي، ١٩٨٤،ص٤٦-٤٨).

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب "الكامل" لقي تقديراً كبيراً من العلماء، فاحتذاه بعضهم في تأليفه مثل إبراهيم بن ماهَوَيْهِ الفارسي، واهتم آخرون بتتبع سقطاته، فألف أبو القاسم علي بن حمزة البصري (ت ٣٧٥هـ) كتابه "التنبيهات على أغاليط الرواة". وقد طُبع لأول مرة في أوروبا، وقد نشرته الجمعية الألمانية في ليبزج Leipzg عام ١٨٦٤م، وصدر في ثلاثة مجلدات بإشراف المستشرق رايت W.Wright (١٨٣٠ – ١٨٨٩م). وضمَّن الكتاب ملاحظاته وتعليقاته، وألحق به فهارس منوعة. ثم طبع في الآستانة، في مجلد واحد بلغت صفحاته ٧١٦ صفحة (١٢٧٦هـ/١٨٦٩م) ونشرته المطبعة الخيرية في مجلدين...وتوالى بعد ذلك طبعه على نحو تجاري، ثم ظهر في طبعة علمية محققة، قام على ضبط نصها الأستاذان محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته، ونشرت في أربعة مجلدات عام ١٩٥٦م (مكي، ١٩٩٤ص٢٣١-٢٣٤).

والطبعة المعتمدة في هذا البحث مِنْ إصدارات دار الفكر العربي بالقاهرة عام ١٣١٧هـ-١٩٩٧م. وحملت اسم محقق واحد فقط وهو محمد أبو الفضل إبراهيم. وقد وقع الكتاب في مجلدين، كل مجلد يحوي جزأين.

وهوامش الكتاب – إلى حد كبير – وافية، فقد أثبت المحقق الزيادات الموجودة في نسخة (رايت) علاوة على الأمور المعهودة في التحقيق. وقد عوَّل – أحياناً – على شرح المرصفي لكتاب "الكامل". ويُؤخذ على المحقق عدم تخريجه للأحاديث الشريفة، فضلاً عن تركه شرْح كثير من

المفردات التي تحتاج إلى بيان، وعدم ترجمته لكثير من الأعلام، ومع ذلك، فلا يمكن أن يجحد الباحث فضل المحقق، وما بذله من جهد جهيد.

ثالثاً: القضايا الدلالية في "الكامل"

(١) منهج المبرد في شرح المعاني الجزئية:

المتتبع لمنهج المبرد في شرح المعاني الجزئية الواردة في النصوص، يلحظ أنه قد أبدى اهتماماً بالغاً بالمعاني الجزئية، حيث استوقفته الألفاظ التي قد تستغلق على الفهم، وراح ينقِّب عن معانيها. ومن ذلك ما أورده عن الراعي:

ومُرسلٍ ورسولٍ غيرِ مُتهمِ وحاجةٍ غيرِ مُزجاة من الحاج

فقد شرح المبرد لفظة (مزجاة) قائلاً: "المزجاة: اليسيرة الخفيفة المحمل. قال الله عز وجل: (وجئنا ببضاعة مزجاة). والحاج: جمع حاجةٍ، وتقديره فَعَلَتُهُ وفَعَلَ، كما تقول: هامَة وهام، وساعة وساع، قال القطامي:

وكنا كالحريق أصاب غاباً فيخبو ساعةً ويشب ساعاً

فإذا أردت أدنى العدد قلت: ساعات، فأما قولهم: في جمع حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولدين، ولا قياس له (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص٢٢٤).

ويُلاحَظ هنا مَيْل المبرد للاستطراد علاوة على تعويله على القياس، وإعراضه عمّا شاع على ألسن المولدين.

(٢) التاريخ يُضَوِّئُ المعنى:

لا يكتفي المبرد بالشواهد القرآنية والشعرية، بل يتخذ من التاريخ سنداً يدعم المعنى الذي ذهب إليه، فعندما أشار إلى ظاهرة التغليب – مثلاً – توقف عند قول الناس: "العمران" فأكد أن المراد بذلك أبو بكر وعمر بن الخطاب، وليس عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وعلَّلَ ذلك بما وقع أثناء الفتنة الكبرى، وذلك بقوله: إن أهل الجمل نادوا بعلي بن أبي طالب رحمة الله عليه: أَعْطِنا سُنَّةَ العُمَرَيْن. (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص١١٩)

ومن نافِلة القول، إن التغليب هو تغليب شيء أو أشياء على شيء أو أشياء في مختلف جوانب اللغة الصوتية منها والصرفية والنحوية والدلالية؛ إيثاراً للسهولة والتيسير في النطق أو انسجاماً

مع ما شاع واشتهر على ألسنة أهل اللغة (البديري، ٢٠٠٣، ص٩). فالتغليب ظاهرة لغوية تتوخَّى التخفيف، ومن ذلك قول العرب: الأبوان للأب والأم، حيث غُلِّب الأب على الأم؛ فقيل الأبوان.

(٣) المفرد والجمع:

ويتوقف المبرد – أحياناً – عند المفرد والجمع، ومن ذلك عند شرحه لقول أبي حية النميري:

رمتني وسترُ اللهِ بيني وبينها عشيةَ آرام الكناس رميم

فيقول: الكناس والمكنس: الموضع الذي تأوي إليه الظباء، وجمع الكناس كُنُس، وجمع المَكنس مكانس (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص٢٩).

ويشير المصنف أحياناً إلى جمع القلة وجمع الكثرة، ومن ذلك ما أورده شرحاً لقول ذي الرمة:

فقلت لها: لا إنْ أهلي لجيرة لأكْثبة الدهنا جميعاً ومالیا

"وقوله: (لأكثبة الدهنا) فأكثبة جمع كثيب، وهو أقل العدد، والكثير كُثُب وكُثبان. (المبرد، ١٩٩٧، ج٦، ص٤٣).

وإذا اختلفت صور الجمع، فإن المبرد ينصُّ على ذلك، ومنه ما نقله عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك في قوله: (نضائد الديباج) فقد أشار المبرد إلى أن مفرد (نضائد) "نضيدة، وهي الوسادة وما يُنضد به المتاع...وقد تسمى العرب جماعة ذلك النَّضَدَ، والمعنى واحد. (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص١٠).

ومن ناحية أخرى قد يشير المصنف إلى اختلاف صورة المفرد، ومن ذلك قوله: "وماتت امرأةٌ للفرزدق بجُمْعٍ، ومعنى (جمع) ولدها في بطنها، وإن شئت قلت: (جِمْع)". (المبرد، ١٩٩٧، ج٤، ص٢٣).

(٤) اللهجات العربية:

يميل المبرد أحياناً إلى بيان اختلاف لغات (لهجات) العرب في لفظة ما، ومن ذلك كلمة "الشمال"، حيث يُقال الشِّمال على لغات ست، يقال: شَمال، وشَأْمَل، وشِمالٌ، وشمَلٌ، وشَمْلٌ، وشَامَلٌ، غير مهموز (المبرد، ١٩٩٧، ج٤، ص٢٣).

ومن ذلك أيضاً ما أورده عند شرحه لكلمة (السُّرى) إذ يقول: والسُّرى لا يكون إلا سير الليل، قال الله عز وجل: (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ) من قولك أَسْرَيْت، وهي اللغة القرشية، وغيرهم من العرب يقول سَرَيْتُ. (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص٨٩).

(٥) أثر المجال الدلالي في صيغة الكلمة:

ألمح المبرد إلى أن اختلاف المجال الدلالي للفظ يؤدي إلى اختلاف صيغته. ومن ذلك ماجاء في معرض شرحه لقول الأعشى:

أتيت حُرَيْثاً زائراً عن جنابةٍ فكان حريث عن عطائي جامدا

وقوله: (عن جنابة) يقول: عن غُربَة وبُعْد. يقال هم نعم الحي لجارهم الجنابة. أي الغربة، يقال: رجل جُنُبٌ، ورجل جانب، أي غريبٌ، قال الله تعالى: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ) (سورة النساء: ٣٦).

والله ما معشرٌ لاموا امرأ جنباً في آل لأي بن شمّاس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة:

فلا تحرمني نائلاً عن جنابةٍ فإني امرؤٌ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد: جنبٌ قال للجميع: أجنابٌ. كقولك: عُنُق وأعناق، وطنب وأطناب. ومن قال للواحد: جانب: قال للجميع: جُنابٌ. كقولك: راكبٌ وركاب، وضارب وضرَّاب...وإن كان الجَنَابة التي تصيب الرجل قلت: رجل جُنُبٌ، ورجلان جُنُبٌ، وكذلك المرأة والجميع. وقد تجوز وليس بالوجه: رجلان جنبان، وامرأة جُنُبة، وقوم أجناب. (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص١٢-١٣).

وهكذا يختلف المعنى باختلاف المجال الدلالي، فقول الأعشى مجاله الاغتراب، والضرب في الأرض، أما ما ينتج عن الجماع من جنابة، فمجاله الدلالي العلاقة الزوجية.

(٦) المجال الدلالي الخاص:

قد يذكر المصنِّف المجال الدلالي العام للفظ، ثم يردفه بالموضع الذي يكثر فيه استعماله ومن ذلك، شرحه لكلمة (الردى) الواردة في قول المفضل بن المهلب بن أبي صفرة:

ومَنْ هرَّ أطراف القنا خشية الردى فليس لمجد صالحٍ بكسوب

"والردى: الهلاك، وأكثر ما يستعمل في الموت. (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص٢٤٦).

(٧) المعنى الأليق بالسياق:

من ناحية أخرى، يُورِد المؤلف أكثر من معنى للفظ، ثم ينص على المعنى الأليق بالسياق ومن ذلك قوله: "ومن جميل محاورات العرب ما رُوي لنا عن يحيى بن محمد بن عروة، عن أبيه عن جده، قال:

أقحمت السنة علينا النابغة الجعدي، فلم يشعر به ابن الزبير حين صلَّى الفجر حتى مثل بين يديه يقول:

أتاك أبو ليلى يَشُقُّ به الدجى دُجى الليل جواب الفلاة عثمثُم

لترفع منه جائعاً ذعذعت به صروف الليالي والزمان المُصَمِمُ

"قوله: (أقحمت السنة) يكون على وجهين: يقال اقتحم، إذا دخل قاصداً، وأكثر ما يُقال من غير أن يدخل، ويكون من القُحْمَةِ، وهي السنة الشديدة، وهو أشبه الوجهين، والآخر حسن. (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص٤-٥).

ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند شرح كلمة (ذو تُومتين) إذ يقول: "وقوله (ذو تُومتين) فالتُّومة في الأصل الحبَّة، ولكنها في هذا الموضوع التي تُعلَّق في الأذن"، وجاء ذلك في شرحه لقول الشاعر:

إذا المرْغِث العوجاء بات يَعُزها على ضرعها ذو تومتين لهوج

ويُلحظ -هنا- أن المبرد قد يسوق أكثر من معنى، ثم يشير إلى المعنى المناسب للسياق. (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص١٢٢).

(٨) المشترك اللفظي

بدايةً يشير الباحث إلى المراد بالمشترك اللفظي، ولعل تعريف أهل الأصول للمشترك هو أدق ما يُحَدُّ به، فهو عندهم اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة. (الصالح، ١٩٩٧، ص٣٠٢).

فقد عرَّج المبرد أحياناً على المشترك اللفظي، ومن ذلك تعقيبه على قول الفضل بن العباس:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تنبِشوا بيننا ما كان مدفونا

فقد أوضح المبرد ما في لفظة "مَوالٍ" مِنْ مشترك لفظي حيث قال: ويكون المولى الْمُعْتَقُ، ويكون المولى من قوله جلَّ ثناؤه: (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ) (سورة القتال: ١١). ويكون المولى

الذي هو أحق وأولى، منه قوله: (مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ) (سورة الحديد: ١٥) أي أولى بكم. والمولى: المالك. (المبرد، ١٩٩٧، ج٤، ص٣٩).

(٩) الأضداد

التضاد من أنواع المشترك اللفظي، وهو "اصطلاح أطلقه فقهاء اللغة العربية على الألفاظ التي يدل كل منها على معنيين متقابلين متضادين. (فهمي، ١٩٣٧).

وقلَّما يتناول المبرد الأضداد، ومن ذلك ما ورد في قول جرير:

ترى العبس الجَوْليَّ جَوْناً بُكوعها لها مسكاً من غير عاجٍ ولا ذَبْل

فقد قال المصنف: والجون ها هنا: الأسود وهو الأغلب فيه. (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٢٦).، وأوردت المظانّ أن لفظ الجون يُطلق على الظُّلمة، والنور، والأبيض، والأسود. (ابن منظور، ٢٠٠٣، ج٣، ص٢٤٦).

(١٠) المعَرَّب

المعرَّب لفظ مُقترَض من اللغات الأجنبية، وُضع في الصيغ والقوالب العربية. (خليل، ١٩٨٥، ص١٥٣). وقلَّما يشير المبرد إلى هذه الظاهرة اللغوية. ومن ذلك قوله: بَرَق وبرقان "والبَرَق أعجمي، ولكنه قد أُعْرِب وجُمع كما تجمع العربية. (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص٤٣). وقد مسَّ المبرد قضية المعرَّب -هنا- مسّاً خفيفاً، فلم يُشِر إلى اللغة التي اقترض منها العرب هذا اللفظ، ولم يقف على دواعيه.

(١١) تفسير الحديث بالحديث

تجدر الإشارة إلى أن المصنف قد فَسَّرَ – أحياناً – الحديث بالحديث، ففي مَعْرِض شرحه لكلمة (الآدِب)، ذكر أنها صاحب المأْدُبة، يقال: مَأْدَبةٌ، ومأدُبة للدعوة، وفي الحديث (إن القرآن مأدُبة الله).

"قال أهل العلم: معناه مدعاة الله، وليس من الأدب. وأكثر المفسرين قالوا القول الأول، وكلاهما في العربية جائز، ويدل على القول الأول قولُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (أنا الجفنة الغرّاء) أي التي يجتمع الناس عليها ويُدْعَوْن إليها...". (المبرد، ١٩٩٧، ج٣، ص٤٦). وهكذا استأنس المبرد بالحديث النبوي الشريف، ليشرح أحد الدوال الواردة في حديث آخر.

(١٢) نقد الروايات:

المبرد صاحب عقلية ناقِدة؛ حيث أعمل فكره فيما بين يديه من روايات، ومن ذلك ما ذكره الرواة فيما يتعلق بخطبة علي بن أبي طالب-كرَّم الله وجهه- في أعقاب مقتل عامِله حسان بن حسان، حيث قال: "أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل، وسيما الخسف.

قال أبو العباس، قوله: (سيما الخَسْف) قال: هكذا حدثونا، وأظنه (سِيمَ الخَسْف) يا هذا، من قول الله عز وجل (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) (سورة البقرة: ٤٩). ومعنى (سيما الخسف) تأويله: علامة. هذا أصل ذا، قال الله عز وجل: (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ) (سورة الفتح: الآية ٢٩)، (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص٢٠-٢١). فلم يُعَلِّل المبرد ورود الدالّ (سيما) على هذا النحو، ولم يذكر -مثلاً- أنه من جرّاء التصحيف أو غير ذلك.

(١٣) المنهجين الوصفي والمعياري:

تجدر الإشارة إلى أن المبرد جمع بين المنهجين الوصفي والمعياري عند تصنيفه لهذا الكتاب الموسوعي، فمن أمثلة الضرب الأول، ما ورد تحت عنوان "الاستعانة في الكلام"، ومما ذكره في هذا الصدد قوله: قال أبو العباس: وأما ما ذكرناه من الاستعانة، فهو أن يُدْخِلَ في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحح به نظْماً أو وزناً إن كان في شعر، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام منثور، كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة قولهم: ألست تسمع؟ أفهمت؟ أين أنتَ؟ وما أشبه هذا. (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص٣٠).

ومن أمثلة الضرب الثاني، تعليقه على قول الشاعر:

إلى السَّالِ فاخترْ لنا مجلساً قريباً وإياك أن تَخْرُقا

حيث قال: هذا مما يغلط فيه عامة أهل البصرة، يقولون: (السال) بالتخفيف، وإنما هو السالُّ يا هذا، وجمعه سُلاَّن، وهو الغالُّ وجمعه غلاّن، وهو الشَّقُ الخفي في الوادي. (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص٣٠).

(١٤) درجة اللفظ:

في سياق شرح للفظة، قد يتناول المبرد درجاتها ومن ذلك قوله: ماء مِلْح، ولا يقال: مالح، وسمك مملوح ومليح، ولا يقال: مالح، وأشد الماء ملوحة الأُجاج. (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٠٨).

(١٥) الألفاظ التي يخالف معناها مبناها:

لقد أورد المؤلف الألفاظ التي تقال على سبيل التفاؤل، ومن ذلك قوله: والسليم الملسوع، وقيل له سليم على جهة التفاؤل، كما يقال للمهلكة مفازة. (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص٩٤). وهذه الظاهرة اللغوية تعبِّر عن الدعاء والتفاؤل والتلطُّف في القول، ومن ذلك قول العرب: البصير للأعمى، والكريمة للعين المفقودة (الأعور)، والرَفَث للجِماع...إلخ.

(١٦) الاهتمام بالقراءات:

للمبرد ولع بالقراءات؛ فكثيراً ما يستشهد بها عندما يشرح الدوال، ومن ذلك تفسيره لكلمة (لسوائكا) في قول الأعشى:

تَجانف عني جَوِّ اليمامة ناقتي وما قصدت من أهلها لسوائكا

وفي ذلك يقول: ... وقوله عزَّ وجلَّ (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ) (سورة فصلت: ١٠) معناه تماماً، ومن قرأ (سواءٍ) فإنما وضعه في موضع مستويات. (المبرد، ١٩٩٧، ج٤، ص٨-٩).

(١٧) المعاني الكلية:

قلَّما يشرح المبرد معنى العبارة بأكملها، ومن ذلك ما نقله عن عِتاب عثمان لعلي – رضي الله عنهما – وجواب علي له بقوله: إن قلتُ لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب.

فقد شرح المؤلف ذلك بقوله: تأويل ذلك: إن قلتُ اعتددْتُ عليك بمثل ما اعتددت به عليَّ فلذعك عتابي، وعَقْدي ألا أفعل – وإن كنت عاتباً – إلا ما تحبُّ. (المبرد، ١٩٩٧، ج١، ص٢٠).

وينوِّه الباحث إلى بلاغة أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه، فالمعنى -هنا- مُكثَّف، ولعل المبرد ساق تأويله السابق، اعتماداً على السياق التاريخي للأحداث آنذاك، فلا يشير قول الإمام علي إلى تداول العتاب بين طرفيي العملية التواصلية: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

(١٨) التناص:

في مَعْرِض تتَبُّع المبرد للمعاني، تناول ظاهرة (التناص) أو ما أطلق عليه حازم القرطاجنيّ (الإحالة) وذلك في مصنفه الذائع الصيت "منهاج البلغاء وسراج الأدباء".

والتناص هو تضمين نص لنص آخر، أو استدعاؤه، أو هو تفاعل خلّاق بين النص المستحضِر والنص المستحضَر، فالنص ليس إلا توالد لنصوص سبقته. (الزيدي، ١٩٨٧).

فقد أورد المبرد قول إسماعيل بن القاسم:

"يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا"

وعلّقَ عليه بقوله: أما قوله...فمأخوذ من قولهم: الفكرة مرآة تُرِيك حَسَنَكَ مِنْ قبيحك. ومِن قول لقمان لابنه: يا بني لا ينبغي لعاقل أن يُخْلي نفسه من أربعة أوقات: فوقت منها يناجي فيه ربه، ووقت يُحاسب فيه نفسه، ووقت يكسِب فيه لمعاشه، ووقت يُخلِّي فيه بين نفسه وبين لذتها؛ ليستعين بذلك على سائر الأوقات. (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص١٠).

وقوله:

وَعَبَروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر

مأخوذ من قول الحسن: اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها

وقوله:

الخير مما ليس يخفي هو الـ ـمعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (يا عبد الله كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس مَرِجتْ عهودهم وأماناتُهم وصار الناس هكذا) – وشبَّك بين أصابعه –، فقلت: مُرْني يا رسول الله، فقال: (خُذْ ما عرفتَ، دعْ ما أنكرت، وعليك بخويصة نفسك، وإياك وعوامّها...). (المبرد، ١٩٩٧، ج٢، ص١١) ومن ثمَّ، فقد عوَّلّ المبرد على ما يتناص مع قول إسماعيل بن القاسم شعراً ونثراً، وذيَّلها بحديث شريف؛ ليكون هذا مِسك الختام.

خاتمة

وصفوة القول إن كتاب "الكامل" للمبرد موسوعة أدبية ولغوية تشهد لصاحبها بطول الباع، وصفاء الذهن، وموضوعية العرض، وتحرِّي الدِّقة في النقل، وغير ذلك من الأمور التي جعلت الكتاب قِبلة أنظار المحققين والدارسين والباحثين.

ومن الواضح أن المُكَوِّن الدلالي في هذا الكتاب قد استحوذ على قدر كبير من اهتمام المؤلف، ويلاحظ شغفه بالوقوف على المعاني الجزئية، متناولاً الجوانب اللغوية من حيث المفرد والجمع والمشترك اللفظي، والأضداد. فضلاً عن الإشارة إلى اللهجات العربية. لكنه لم يكترث كثيراً بالمعرب والدخيل، ومَسَّهُما مَسَّاً خفيفاً.

وقد مالَ المصنِّف إلى الاستطراد، وذلك بالوقوف على موطن الشاهد، ثم ينتقل إلى شواهد أخرى، لها علاقة بهذا الموطن، مستهدياً في ذلك بالمثل السائر "الحديث ذو شجون"، وذلك على منوال مَن سبقوه من المصنفين، ورائده في كل ذلك القياس، وتحرِّي الدقة.

وفي معرض تفسيره للألفاظ، يتكئ المبرد أحياناً على الأحداث التاريخية لتحديد المعنى. وقد يفسر دالاً في الحديث الشريف، بدالٍّ ورد في حديث آخر. كما أنه يشير – أحياناً – إلى درجة شيوع اللفظ.

ويلاحظ أن المبرد قلما يستجلى المعنى الكامل للشاهد الذي بصدد شرحه.

ولم يستخدم الكاتب مصطلح السرقة الشعرية، واكتفى بقوله إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان، وفي ذلك ما ينمّ عن سعة الأفق، ورحابة الصدر، والإقرار بالفضل للمتقدِّم، وعدم القدح في المتأخر. وهذه الرؤية تتفق مع ما ذهب إليه حازم القرطاجني في كتابه "منهاج البلغاء" حيث ضربَ صَفْحاً عن مصطلح السرقة الشعرية، وَعَدَّ إفادة الشاعر من معاني غيره من الشعراء أمراً لاغضاضة فيه، واستخدم في ذلك مصطلح (الإحالة)، الذي يقابل المصطلح المعاصر (التناص). وهذا الأمر يؤكد سعة أفق المبرد وحازم القرطاجني رحمهما الله تعالى.

وتجدر الإشارة إلى أن المبرد قد عوَّل على القراءات؛ فقد أمدته بذخيرة ثرة في استجلاء معاني الألفاظ؛ فالقرآن الكريم المصدر الأول الذي نعتمد عليه في الاستشهاد اللغوي.

ومن الواضح أن المبرد لم تشغله قضية التغير الدلالي للألفاظ Semantic Change، فلم يجد الباحث فيما قرأ ما يتطرق إلى هذا الجانب الجدير بالدرس. وقد استعمل المبرد المنهج الوصفي في القسم الأكبر من الكتاب، أما المنهج المعياري فالاحتكام إليه جاء في مواضع قليلة.

وعلى أية حال، فإن كتاب "الكامل" حقيق بالدراسة والتحليل على جميع المستويات اللغوية؛ نظراً لغزارة مادته وعُمْق مباحثة، وطرافة موضوعاته، وموضوعية طرْحه لهذه الموضوعات.

يقدم البحث التوصيات الآتية:

١) إبراز جهود العلماء المسلمين في المقررات الدراسية في كل فروع اللغة العربية؛ ليتخذهم الدارسون نبراساً لهم.
٢) إقامة ندوات ومؤتمرات حول عَلَمٍ معيَّن من أعلام الدراسات الدلالية من القدامى والمعاصرين.
٣) الاهتمام بالجوانب التطبيقية عند شرح موضوعات علم الدلالة، وعدم الاكتفاء بالنواحي النظرية، ومن ذلك على سبيل المثال، نظرية الحقول الدلالية.

ثمة مقترحات تأتي على هذا النحو:

١) أن يخص الباحثون كل قضية من القضايا الدلالية محل البحث، بدراسات مستقلة وعميقة، كأن يتناول باحث ما الغريب في أحد أمهات الكتب، ويتناول باحث آخر اللهجات، وكذلك المشترك اللفظي...إلخ.
٢) دراسة دلالات ألفاظ معينة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مثل ألفاظ القدرة والتمكين، وغير ذلك.
٣) الاهتمام بإعداد معاجم تتبع نظرية الحقول الدلالية، وإجراء بحوث حولها.

REFERENCES

Al-Badiri, Kazem Oudah Khisham, *Zahirat al-Taghlib fi al-Arabiyyah*, Risalat Majister, Kulliyat al-Adab, Jami'at al-Kufa, al-Iraq, 2003.

Farid, Boudar Bala, *Malamih Dalaliyah fi Tafsir Ibn Abbas wa Atharuha fi al-Dirasah al-Lughawiyyah*, Risalat Doktorah, Jami'at Ahmed Ben Bella 1, Wahran, al-Jaza'ir, 2017.

Khudair, Al-Maghili, *Al-Dalalah 'inda al-Raghib al-Asfahani min Khilal Kitabihi Al-Mufradat fi Gharib al-Quran*, Risalat Doktorah, Jami'at Wahran, al-Jaza'ir, 2010.

Khalil, Hilmi, *Al-Mawlood fi al-Lughah al-Arabiyyah* (Bayrut: Dar al-Nahda al-Arabiyyah lil-Tiba'ah wa al-Nashr, 2nd ed., 1405 AH - 1985 AD).

Al-Zarkali, Khayr al-Din bin Mahmoud bin Muhammad, *Al-A'lam* (Bayrut: Dar al-Ilm lil-Malayin, 2002).

Al-Salih, Subhi, *Dirasat fi Fiqh al-Lughah* (Lubnan: Dar al-Ilm lil-Malayin, 10th ed., 1983 AD).

Farid, *Malamih Dalaliyah fi Tafsir Ibn Abbas wa Atharuha fi al-Dirasah al-Lughawiyyah*.

Fahmi, Mansour, *Al-Adhdad*, fi *Majallat Mujamma' al-Lughah al-Arabiyyah al-Malaki*, al-Qahirah, 1936 AD.

Qaddour, Ahmed Mohammed, *Al-Lisaniyyat wa Afaq al-Dirasah al-Lughawiyyah* (Bayrut: Dar al-Fikr al-Muasir, 1st ed., 1422 AH - 2001 AD).

Karam, Qamrah, *Al-Qadaya al-Lughawiyyah fi Tafsir Al-Nahr al-Madd min Al-Bahr Al-Muhit li Ibn Hayyan al-Andalusi*, Risalat Doktorah, Jami'at Qasdi Merbah-Warqalah, al-Jaza'ir, 2018.

Mohammed, Hussam Mohammed Abdul Rahim, *Al-Qadaya al-Dalaliyah fi Tafsir Fath al-Qadir li al-Shawkani*, Hawliyyat Kulliyat al-Lughah al-Arabiyyah bi-Jirja, Vol. 3, Issue 23, 2019.

Makki, Al-Tahir Ahmed, *Dirasah fi Masadir al-Adab* (al-Qahirah: Dar al-Ma'arif, 7th ed., 1993 AD).

Ibn Manzur, Mohammed bin Mukarram bin Ali, *Lisan al-Arab* (Bayrut: Dar Sader, n.ed., 2003).

Al-Warqi, Said, *Fi Masadir al-Turath al-Arabi* (Bayrut: Dar al-Nahda al-Arabiyyah, n.ed., 1404 AH - 1984 AD).

Ibn Yazid, Abu al-Abbas Mohammed, *Al-Kamil fi al-Adab wa al-Lughah*, edited by Mohammed Abu al-Fadl Ibrahim (al-Qahirah: Dar al-Fikr al-Arabi, 3rd ed., 1417 AH - 1997 AD).